

وسائل التكنولوجيا الحديثة ودورها السلبي والإيجابي في تحديات

اللغة العربية

إعداد

أ.م.د/ و داد جابر غازي

الجامعة المستنصرية / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية - العراق

قبول النشر : ٢ / ١٠ / ٢٠١٨

استلام البحث : ١٥ / ٩ / ٢٠١٨

المقدمة :

لم تكن اللغة العربية بمنأى عن التطور الرقمي المشهود في مختلف جوانب الحياة؛ حيث فرضت التكنولوجيا سيطرتها بشكل واضح، وكان للغة العربية نصيب من هذه السيطرة، فاعتمدت مجموعة من أدوات تكنولوجيا المعلومات على استخدام اللغة العربية في محتوياتها، واستطاعت تقديم العديد من الخدمات المفيدة لها، ولكن في المقابل تأثرت اللغة العربية بشكل سلبي أدى إلى تراجع استخدامها بين شريحة كبيرة من مستخدمي أدوات التكنولوجيا الرقمية المتنوعة، والذين توجهوا إلى استخدام اللغة الإنجليزية المعربة، وغيرها من اللغات الأخرى للتواصل بينهم؛ مما أدى إلى مواجهة اللغة العربية في ظل هذا التطور الرقمي تحدياً واضحاً يحتاج إلى دراسة، وتحليل دقيق بهدف الوصول إلى علاج مناسب له؛ من أجل ضمان وجود اللغة العربية في الطريق الصحيح للتعامل مع هذا التطور الرقمي.

إن تأثر اللغة العربية في هذه الموجة من التطور الرقمي التكنولوجي يعود لسبب رئيسي؛ وهو انتشار شبكة الإنترنت الذي واكب اهتماماً واضحاً في العالم العربي؛ بسبب ظهور العديد من المواقع الإلكترونية العربية، ومن الأمثلة عليها المنتديات الرقمية، وما تبعها من اعتماد منصات التواصل الاجتماعي على استخدام اللغة العربية لجذب المستخدمين العرب لها؛ وأدى ذلك إلى تحول اللغة العربية لتصبح واحدة من اللغات الافتراضية، ولكنها لم تحصل على اهتمام مشابه لما حصلت عليه اللغات العالمية الأخرى، كاللغة الإنجليزية التي اعتمد عليها هذا التطور الرقمي كأسس في بنيته التحتية. كانت اللغة العربية قبل هذا التطور الرقمي تمتلك مكانة كبيرة لا يمكن أن تتعرض أبداً؛ بسبب الاهتمام الواضح في دراستها وتأليف العديد من المؤلفات التي تهتم بها، ولكن أثر ظهور العصر التكنولوجي وما تبعه من مخرجات أخرى على اللغة العربية، وإن لم يكن هذا التأثير واضحاً في البداية، ولكنه ازداد وضوحاً مع مرور الوقت، وخصوصاً مع عدم وجود توازن بين كمية المعلومات العربية الموجودة في الإنترنت

مقارنةً مع المعلومات المكتوبة في اللغات الأخرى، والتي تجدُّ اهتمامًا ملحوظًا من قبل مستخدمي هذه الشبكة المعلوماتية؛ وتحديداً في مجال إعداد الدراسات الأكاديمية المتنوعة.

إن مقالةً واحدةً لا تكفي للحديث عن تأثير التطور الرقمي على اللغة العربية، ولكن توجد بعض من الأسئلة التي تُشكل نُزراً يسيراً من الأسئلة الكثيرة التي يجب طرحها حول هذا الموضوع، مثل ما مدى قدرة اللغة العربية على المحافظة على قيمتها عند الأفراد المتأثرين بهذا التطور الرقمي؟ وهل ستستطيع اللغة العربية الاستمرار في مواكبة كافة مخرجات هذا العصر التكنولوجي؟ وهل ستظلّ ضمن اللغات الأولى عالمياً كما كانت قبل هذا التطور الرقمي؟ يُعدّ التفكير بنهضة اللغة العربية رقمياً من المعضلات الناتجة عن العصر التكنولوجي الحديث؛ لذلك لا يُمكن إغفال الجهود الفعالة التي تمتاز بالكفاءة عند بعض المواقع الإلكترونية العربية، والتي ساهمت في المحافظة على صورة اللغة العربية؛ عن طريق تقديمها وتوفيرها محتويات رقمية باللغة العربية في مختلف المجالات الفكرية؛ ممّا أدى إلى بناء محتوى عربيّ ساعد على تعزيز وجود اللغة العربية في ظلّ تقنيات عصر التكنولوجيا الحديثة .

ولكن ما زالت اللغة العربية تحتاج إلى حلولٍ مدروسة، ومناسبة للمحافظة على مكانتها في هذا المحيط المعلوماتي واسع الانتشار، فمن المهم تعزيز دور التفكير الرياديّ الذي يستثمر في المواقع الإلكترونية العربية، والبرامج الرقمية المصممة باستخدام اللغة العربية، وغيرها من الوسائل الأخرى التي تساعد على بقاء اللغة العربية في المرتبة الأولى، وتُعزز من قدرتها على مواكبة كافة التأثيرات الناتجة من النمو المتسارع للتطور الرقمي.

أولاً: منهجية الدراسة:

يستلزم لدراسة موضوع علاقة اللغة بالمجتمع و اشكالية التواصل اللغوي فيه حسب رأينا، التطرق إلى ثلاثة مستويات تحليلية بغية توضيح المعالم الأساسية للموضوع، حيث تشكل هذه المستويات البناء العضوي للدراسة، كون كل مستوى هو إطار أساسي في عملية البحث يساعدنا على الربط بين مختلف عناصر الموضوع بطريقة منطقية، تتمثل هذه المستويات فيما يلي:

المستوى الأول: يرتبط المستوى الأول من التحليل بتحديد الإطار المفاهيمي للدراسة، إذ سنتوقف عند البحث في مفهوم اللغة و محاولة ضبطه، فضلا عن تحديد بعض المصطلحات المرتبطة بها، و التي تتداخل معها، ثم نصل الي تحديد المقصود من مفهوم المجتمع باعتباره عنصر اساسي و مهم في دراستنا هذه.

المستوى الثاني: يرتبط هذا المستوى من التحليل بمحاولة وصف علاقة اللغة بالمجتمع، من خلال التطرق الى مجموعة من النقاط الجوهرية التي تمس كل من اللغة و المجتمع في علاقتهما، و تتمثل في دراسة وظائف اللغة في المجتمع، فضلا عن التطرق الى

علاقة اللغة بكل من الهوية و الثقافة احد عناصر اي مجتمع بشري، بالإضافة الى تحديد طبيعة هذه العلاقة من وجهة نظر علم اللغة الاجتماعي و علم اللغة السياسي.

المستوى الثالث: يقوم هذا المستوى من التحليل على دراسة اشكالية التواصل اللغوي في زمن العولمة و التطور التكنولوجي في وسائل الاتصال

ثانيا: اشكالية الدراسة:

احدثت التطورات التكنولوجية الحديثة نقلة نوعية و ثورة حقيقية في مجال الاتصال، الامر الذي جعل افراد المجتمع تعيش في ظل عالم تقني و مجتمع افتراضي تحت شعار ثقافة الأنترنت، ما اثار حفيظة المجتمعات بسبب الاخطار الناجمة عنها نظرا لابتعاد الشباب عن الحيز الواقعي و التفاعل الحقيقي الى حيز افتراضي يهدد الثقافات الحقيقية، بسبب تنوع و اختلاف وسائل الاتصال و التواصل بين الافراد و تطورها بشكل لافت للأنظار، مثل: المواقع التواصل الاجتماعي التي هي في حقيقة الامر ما هي الا وسائل للانفصال الاجتماعي، فقد ادت الى حالة الصمت الرهيب الذي اصبح يسود الاسرة خاصة العربية منها، يرجع هذا الى طبيعة اللغة المستخدمة التي لا يفها الا جيل الأنترنت و يصعب على الاجيال السابقة فهمها و حتى المشاركة فيها، ما ادى الى قطيعة التواصل بين الاجيال.

و في الاخير نستنتج على الرغم من ان اللغة هي جزء لا يتجزأ من الهوية الاجتماعية، الا انها في زمن العولمة لم تستطع مقامة اساليب الاقصاء، و هنا اتحدث عن اللغة العربية بالتحديد التي لم تستطع مقاومة التدفق اللغوي القادم من الخارج، ما هدد بقائها ك لغة قومية و لغة مجتمعات و حضارة بأكملها.

و هذا هو ناقوس الخطر الذي دق في ظهر اللغة العربية و في دورها في تحقيق التواصل بين ابناء المجتمع فيما بينهم، و للمحاولة حماية هذه اللغة و اي لغة مهدد بالاندثار جراء موجات اللغات الاجنبية التي عادت للاستعمار من جديد بصورة مختلفة بعيد كل البعد عن استخدام السلاح، فلا بد من تحقيق التفاعل بين اللغة الام و باقي اللغات الاجنبية الخارجية، في اطار ما يسمى بعالمية الثقافة القائمة على مبدأ الاعتراف بالتنوع اللغوي دون انصهار لغة في قالب لغة اخرى و محاولة طمسها، و هذا في اطار الحفاظ على العلاقة القائمة بين اللغة و المجتمع في تحقيق التواصل الاجتماعي.

المحور الاول: التواصل و التنقية التكنولوجية ضرورة اجتماعية:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ويحتاج إلى التواصل مع غيره من أفراد مجتمعه في بيئته الاجتماعية، وقد عرف المختصون التواصل بأنه "حالة من الفهم المتبادل بين نظامين أو أكثر، أين يقوم أحد هذه الأنظمة مقام المرسل فيما يقوم الآخر مقام المستقبل، ويتبادل كلا الطرفين المواقع من حيث الإرسال والاستقبال بالتناوب، ونجد معجم [Le Petit Larousse] الفرنسي يُعرّف التواصل باعتباره فعلا لإيصال شيء ما: رأي، رسالة، معلومة .. ويُضيف على أن المصطلح في علم النفس يشير إلى نقل الخبر

داخل مجموعة ما والنظر إليه في علاقته مع بنية هذه المجموعة، وهذا النقل يتم في المجتمع البشري عن طريق اللغة التي تمثلها قال: [جون سيرل، في كتابه: العقل واللغة المجتمع ((أهم مؤسسة إنسانية؛ لأن كل المؤسسات الأخرى كالحكومة، والملكية، والخاصة، والزواج والتي تتطلب وجود اللغة، أو على الأقل تتطلب أشكالاً من الرمزية شبيهة باللغة، بينما لا تحتاج اللغة في وجودها إلى أي أشكال من هذه المؤسسات الأخرى ((؛ لأن اللغة في المجتمع الإنساني توفر مساحة كبيرة من الحركية التي تتجسد بحسب رأي [JurgenHabermas] في كتابه [Théorie de l'agir communication] في: ((مجموع آفاق المعاني التي يرجع إليها الأفراد في تفاعلمهم، وهذا المجموع لا يشكل رغم ذلك إلا أفقا واحدا يتحرك فيه الفرد، إنه بعبارة أخرى خزان مشترك بين الأفراد من الفئات والاعتقادات القابلة للتغير والنقد فقط عن طريق اللغة وفي إطار وضعيات النشاط اليومي الذي يحاول الفاعلون التفاهم حول عناصر العالم الموضوعي، والاجتماعي، والذاتي لتنسق مشاريع عملهم ((وفق الطريقة التي أرادوها، ووفق المنهج الذي اختطوه لأنفسهم^(١).

ويبدو أن بداية ظهور المواقع التواصلية الاجتماعية على شبكة الانترنت متأخرا بعض الشيء، إذ يصنف الموقع (SixDegrees.com) :على أساس أنه أولهذا المواقع الالكترونية التي ظهرت في عام ١٩٩٧، وقد أتاح هذا الموقع الفرصة لمستخدميه وضع ملفات شخصية عليه، وسمح لهم إمكانية التعليق على الأخبار التي تعرض فيه، وسهل عملية تبادل الرسائل معباقي المشتركين الآخرين في الموقع، وأما الموقع التواصلية الالكترونية (MySpace.com) :فإنه ظهر خلال ٢٠٠٣ وفتح آفاقاً واسعة لمواقع التواصل الاجتماعي التي ظهرت عليها تحسينات وتعديلات توجت بظهور موقع التواصل الاجتماعي الرائد في مجال التواصل الاجتماعي (FaceBook.com) على يد مؤسسه الطالب: ماركغو كيريبيرغ (MarcGukiriberg) الذي كان يدرس بجامعة هارفرد (Harvard) الأمريكية عام ٢٠٠٤، والذي كان يهدف من وراء تصميمه إلى إنشاء موقع إلكتروني على الإنترنت يجتمع من خلاله شباب الجامعة، ويمكنهم تبادل الأخبار، والصور، والآراء معهم، غير أن الفكرة تم تبينها في عالم تكنولوجيا الاتصال والتواصل، وصار موقع التواصل الاجتماعي (FaceBook.com) من أهم المواقع الالكترونية، وأكثرها استخداماً في العالم حيث تجاوز عدد مستخدميه مائة مليون مستخدم^(٢).

المحور الثاني : شبكة الانترنت ودخول المصطلحات الغربية على اللغة العربية.

إن اللغة العربية الفصحى بالنسبة للأمة العربية تعتبر أهم من أيّة لغة أخرى بالنسبة للأمة التي تتكلم بها، ويرجع ذلك لتفرد اللغة العربية بعدد من السمات والملاحم، يجعل منها لغة فائقة جديرة بالمكانة العليا بين لغات العالم.

١- فهي لغة القرآن الكريم: اللغة التي نزل بها جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، لم يُخترَم منها حرف واحد، ولم يَنَل التحريف منها كلمة واحدة؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - قد تعهّد بحفظه؛ (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩]، وهذه الحماية الإلهية تمتد إلى اللغة العربية الفُصحى؛ لأنها وعاء القرآن، ولا حفظ" للمحتوى "إلا إذا حفظ الوعاء الذي يحويه.

والقرآن الكريم هو الكتاب المنزل الوحيد الذي ظل حتى الآن مكتوبًا باللغة التي نزل بها، وهذه السمة تجعل اللغة العربية مكانة روحية جليّة - لا في نفوس العرب فحسب - بل نفوس المسلمين جميعًا.

٢- وهي لغة قومية؛ جمعت العرب من قديم في وحدة لغوية متماسكة، فكانت هي لغة التفاهم والتجارة والأدب والشعر والسفارات، ولم يَحُل ما بين اللهجات من فروق من النقاء الجميع على هذه اللغة القومية المُشتركة.

٣- وهي لغة ثرائية؛ بمعنى أنها كانت - وما زالت - الوعاء الأمين الذي حفظ التراث العربي والإسلامي، وصانه من الضياع، يستوي في ذلك العلوم الإنسانية، والعلوم التجريبية، بل إنها حفظت من الضياع كثيرًا من سرائح التراث اليوناني الذي تُرجم إلى اللغة العربية، وضاعت أصوله اليونانية فترجمه علماء اليونان بعد ذلك من العربية إلى اليونانية.

٤- وهي لغة قادرة؛ أي إن فيها من الملامح والإمكانات الذاتية ما حرمت منه أو من بعضه اللغات الحية، وهي في هذه الخصائص تتفوق على اللغات السامية جميعًا.

من الكلمات والمصطلحات دخلت وسكنت ثنانيا لغتنا العربية، وليس في ذلك عيبًا، ولا أجد غضاضة في استخدامها مثل: البنسلين، الإنفلونزا، التلفزيون، التلفون أو الكمبيوتر أو الإنترنت... الخ، رغم أن مجامع اللغة العربية قدمت لنا بعض البدائل التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وبالمقابل أيضًا هناك الكثير من الكلمات عادت إلينا كالشيك مثلاً ذات الأصل العربي. إيران، الهند، باكستان، تركيا، إسبانيا لغاتها ممثلنة بكلمات عربية، فمسألة التنافذ اللغوي ليست إشكالية إن كانت قائمة على أصول لغوية وقواعد متفق عليها بين العرب جميعًا أو مصطلح لن يحمل معول هدم في الجوهر والمعنى والأداء اللغوي. أما الخوف، وكل الخوف، فهو المائل أمام أعيننا من أمثلة صارخة في تحوّل الكلمات المبهمة غير الدقيقة، أو التي لا معنى وقيمة لها، في تحولها بقدره الفوضى، إلى مصطلح! الخوف، كل الخوف، من "العربليزية" التي انتشرت عبر الشبكة العنكبوتية بطريقة مرعبة. الخوف، كل الخوف، من الشباب المستلب. الخوف، كل الخوف، من شباب لا يقرأ العربية ولا تهزّه قصيدة شعر. الخوف، كل الخوف، أن هذا الممسوخ، الذي مسخ أجمل ما في الحياة العربية: لغتها، سيصبح ذات يوم أغبر صاحب قرار! هذه اللغة الممسوخة - إن جاز لي استخدام كلمة لغة لها - منتشرة للأسف قبل أن نعرف الشبكة العنكبوتية أو الإنترنت ولكن بشكل آخر؛ إنها منتشرة في البيوت والجامعات

والشوارع والمحلات التجارية وعاوين الشركات الاستثمارية وفي كل مكان، إنها النموذج للتشوّه والبؤس الحضاري الذي نعيشه على الأرض العربية، إنها، وبكل بساطة (غير تبسيطية)، تعبير عن انكسار الأمة فينا وانكسارنا في قلب الأمة بالمعنى الواقعي لا التشاؤم. عندما نعرف أن الجامعات الغربية تطلق على مواد اللغة اسم (اللغة والحضارة)، ذلك لأن التفكير يتسلل ضمن استراتيجية التسمية، فاللغة ليست محايدة أبدًا كما قال أفلاطون بأنها مرآة عاكسة للفكر، إنما اللغة، برأيي، تدخل في عمق الفكر والتفكير^(٣).

تتشترك جميع اللغات الإنسانية في ثلاث مكونات أساسية: الأصوات والدلالات والتركييب، كما أنها تتصف بالتجديد والإبداع، فكل لغة تملك نظامًا ما يساعدها على توليد وإنتاج عدد غير متناه من التعبيرات والتراكيب التي من شأنها أن تؤدي إلى تقدم الشعوب وتمكنهم من توظيف طاقاتهم وقدراتهم العقلية وحلّ مشاكلهم اليومية. إن تلك الخصائص والسمات لا تنفرد بها لغة عن سواها من اللغات بل تشترك فيها كافة اللغات على الأرض وفي كل الأزمنة بما في ذلك العربية. لا يوجد أيّ تميّز أو خصوصية لأي لغة عن الأخرى إلا بقدر اهتمام شعوبها وقيادتهم الفكرية والعلمية والسياسية. ومن منا لم تهزّه كلمات الزعيم الفيتنامي الكبير هوشي منه قوله لشعبه حينما طرحت مسألة تأكيد هوية بلاده (والتي أطلق عليها وصف القثمنة): حافظوا على صفاء اللغة الفيتنامية كما تحافظون على صفاء عيونكم، تجنبوا بعناد أن تستعملوا كلمة أجنبية حين يصبح بإمكانكم أن تستعملوا المفردات الفيتنامية، وقد عبّر عن هذا الموقف الزعماء الذين رافقوه فقال خليفته فيما بعد فام فان دونج: لقد عبّرت اللغة الفيتنامية عن الثورة الفيتنامية ورافقتها وكبرت معها^(٤).

ثمّة تجربة عربية، وإن لم تجد نجاحًا كبيرًا لظروف معقدة متشابكة بهوم ملتبسة أخرى. نقف بإجلال أمام التجربة الجزائرية في إعادة اللغة العربية إلى المكتب والشارع والبيت الجزائري إلى حدّ كبير. ولكن من كلّ تجربة الجزائر اللغوية أتوقف متأملًا لموقف مستعمرها بحادثة وقعت في عهد الرئيس بومدين الذي كان مهتمًا بتعليم المغتربين في فرنسا اللغة العربية من خلال ما كان يعرف باسم: ودادية المغتربين (وإن توقف المشروع بعد رحيل بومدين، لأننا وللأسف كعرب ترتبط المشروعات دومًا بالأفراد الذين ما أن يرحلوا حتى نههم ما بدأه... بدون هذا لن نكون عربًا). والذي حدث أن بعض الفرنسيين رغب بتعليم أبنائهم اللغة العربية من خلال إلحاقهم بهذه المدارس التي أنشأتها الودادية في بعض المدن الفرنسية، وحين تمّ عرض الأمر على وزارة التربية الفرنسية رفضت، وبحزم، الاستجابة لهذا الطلب، وبعثت برد واضح حاسم قالت فيه: نذكركم بالقاعدة التربوية الفرنسية التي تمنع التلميذ الفرنسي من أن يتعلم لغة أجنبية في المرحلة الابتدائية حفاظًا على شخصيته الوطنية في هذه السن المبكرة! إن الدراسات التي قامت بها مراكز البحوث الدولية حول مصير اللغات أظهرت أن اللغات التي لا

يستخدمها أقل من خمس سكان العالم لن يكتب لها البقاء، وأنه لن تبقى من اللغات العالمية إلا تلك التي تنتشر بين أكثر من مليار نسمة وهي: الإنجليزية، الإسبانية (بحكم استخدامها في أمريكا الجنوبية)، الصينية، واللغة العربية إذا ما أصبحت لغة مسلمي العالم!^(٥)

المحور الثالث: ماهي المشاكل التكنولوجية التي واجهت اللغة العربية؟

نحن، ويا للأسف، ندين بانتشار العربية الفصحى بين الأجيال الجديدة للمسلسلات المكسيكية وأفلام الرسوم المتحركة المدبلجة أكثر من كلِّ جهود مناهج وزارات التربية والتعليم العربية الفاشلة، فأبي مصيبة وقعت به لغتنا الجميلة؟ دعونا نستعرض بعض أخطر السلوكيات المدمرة للغتنا، تلك المسلكيات التي نقوم بها نحن وليست متكنة على نظرية المؤامرة التي بدأت من سياسة التتريك العثماني ومن ثم الاستعمار الحديث والتي أخذت أشكالاً جديدة في أذهاننا المشبعة بنظرية المؤامرات. بعيداً عن الاستعمار والمستعمرين دعوني أطرح بعض الصور والمواقف العربية للعربية الفصحى قبل أن تأخذ ذلك المنحنى المأساوي عبر شبكة الإنترنت.

مازلنا نعيش أسوأ أمية أبجدية بين دول العالم النامي، وقد أخفقت كل محاولات محو الأمية وتعليم الكبار إضافة إلى تزايد معدلات الفقر بطريقة مخيفة في مدننا العربية مما أدى ويؤدي إلى تسرب آلاف مؤلفة من التلاميذ الصغار إلى سوق العمل من أجل لقمة العيش. والإحصائيات، التي بين يدي، تشير إلى أن نسبة الأمية الأبجدية في تصاعد حيث وصلت عام ١٩٩٥ إلى حوالي ٦٠%، ووصلت عام ١٩٩٧ إلى ٦٥% كنتيجة لتزايد الفقر، وفي عام ٢٠٠٢ ارتفعت إلى ٧٠%. ولكم تخيلُ القادم لمستخدمي اللغة العربية الفصحى؟ ثمة نقطة على غاية من الأهمية تتعلق بالبعد اللغوي الروحي للطفل العربي في حضن الأسرة العربية ذات المستوى الثقافي والاجتماعي المتوسط وما فوق. لغة المنزل تخوض صراعاً خفياً بين حرب اللهجات المحلية المنعكسة من أداء المحطات الفضائية العربية، واستخدام اللغات الأجنبية داخل البيوت كنوع من التباهي ومظهر من مظاهر الرقي الاجتماعي، ولغة الخدم الركيكة الناجمة عن تفشي ظاهرة جلب الخدم الآسيويين. وثمة دراسات اجتماعية مهمة اطلعتُ عليها في الجامعة الأردنية وجامعة القاهرة تشير إلى بؤس الحالة اللغوية للصغار، وخاصة مرحلة رياض الأطفال. ولكم تخيلُ أي متاهات نضع فيها أطفالنا الأبرياء أمام منحنيات اللامعنى^(٦).

المحور الرابع: من هم الذين يعلمون اللغة العربية في مدارسنا العربية؟

ثمة صورة بائسة كرسها الإعلام ووسائل الفنون من مسرح ودراما تلفزيونية وسينمائية عربية لصورة نمطية لأستاذ اللغة العربية، بغض النظر عن حقيقة واقعية الصورة إلا أن هذا التركيز ألغى الاحترام لمعلم اللغة العربية، وبالتالي كيف يستمد الطفل والشاب المعرفة ممن لا يحترمه! كنتيجة لعدم وجود حركة تعريب عربية متقدمة، وللتشكك الدائم بها كلغة، علمًا بأنه قد تمَّ اتخاذ قرارات تربوية في العديد من الدول

العربية بهدف الحدّ من استخدام اللغة العربية وتقليص الحصص الخاصة بها على اعتبار أنها لغة ذات طبيعة اجتماعية وثقافية وجزء من التراث العربي الإسلامي وينبغي اقتصار التدريس بها في مواد دراسية خاصة مثل التربية الإسلامية والتاريخ والجغرافيا بالإضافة إلى مادة اللغة العربية. إضافة إلى انتشار مدارس في المدن العربية رغم أن مجالس إدارتها وطلبتها عرب إنما يتم فيها التعامل مع اللغة الإنجليزية أو الفرنسية كلغة وحيدة للتدريس، وهذا ينسحب على استخدامها بشكل آلي في التفاصيل اليومية، كامتداد للمدارس التبشيرية التي أنشئت منذ قرن. إلا أن النوع الجديد الذي أعنيه هنا ازداد حدة وغلواً في استعدائه ونظراته الفوقية للغة العربية. وخطورة الأمر تكمن في أن هؤلاء التلاميذ هم من أبناء المتعلمين والمتقنين والنخب السياسية، فأى خراب لغوي يكمن في ذواتهم؟ هؤلاء الذين يوماً ما سيرثون السلطة وسيقودون الأمة؟ من خلال ملاحظة لمكتبة الطفل والمراهق العربي وجد أن المكتبة العربية فقيرة جداً بالأدب الراقي الذي يجب أن يرافق المراحل العمرية للطفل منذ مرحلة الطفولة المبكرة، أي مرحلة ما قبل المدرسة إلى مرحلة الشباب خطوة بخطوة وبكفاءة وإبداعية ولغوية. للأسف، يغلب على النتاج الخاص بالطفولة السطحية وعدم الجاذبية من حيث الشكل والألوان، وبمحمول لا يتناسب ومتغيرات القرن الحادي والعشرين، فكيف إذن باللغة التي لا تعدو إلا صفّ الأحرف المسكينة لتشكل كلمات لا لون لها ولا طعم. وهذا من شأنه دفع الأطفال باتجاه الكتب الأجنبية إما بلغاتها أو ترجماتها. وما أن يصل الطفل إلى مرحلة المراهقة حتى ينسحب تدريجياً نحو الكتب الأجنبية لقربها من متطلبات مرحلته العمرية العاطفية النفسية الانفعالية المتأججة، والتي يجد مراده ومتعته في تلك الثقافة لتمتعها بوافر من حرية التعبير. وفي المقابل نتجاهل نحن هذه المرحلة، بل لا يحسب لهم أدنى حساب في النتاج الإبداعي العربي. ولا أدري لماذا نعاملهم على أساس أنهم كبار مما يؤدي بهم إما إلى التوقف عن القراءة والمطالعة أو الإقبال على النتاج الأجنبي. وفي الحالتين ينعكس الأداء اللغوي بوضوح على الإنترنت من خلال شباب يتعاطون اللغة الإنجليزية بكفاءة عالية دون روح عربية، أو هؤلاء الذين اخترعوا العربليزية لجهلهم اللغتين: القومية والمكتسبة في آن واحد. ويتضح جلياً الضعف الشديد في بنية ثقافتهم. فكيف ولماذا نعتب عليهم؟^(٧)

وفي الجانب الآخر فئة من المراهقين الذين يتجهون إلى الكتابات اللاهوتية، ما يتحول إلى ثقافة القبلة العنقودية التي ستتفجر في وجوهنا في أي لحظة. هؤلاء (أعترف) متمكنون لغوياً، وخاصة لعلاقتهم الوطيدة بالقرآن والمسجد، ولكنه تمكّن أعمى جامد جاف لا حياة فيه بل أقرب إلى المومياء. إنهم يصلون إلى درجة إضفاء صبغة القداسة على كل ما هو موروث لغوي وبالتالي تحريم التغيير والتجديد من منطلق (كل بدعة حرام)، وبالتالي يشكلون السدّ في وجه التطوير والتجديد اللغوي الذي نحن بأمس الحاجة إليه. دعونا نسلط الضوء على بعض الأشياء ذات العلاقة باللغة أو بحماية وتطوير

آلياتها، فمثلاً منتديات وجمعيات حماية اللغة، تلك المؤسسات التطوعية: من هم الأعضاء والعضوات فيها؟ وكم هو حجم المسألة القابع في بعض تلك المؤسسات لتقليديتهم المعرّقة لأي تطور؟ وهم أصلاً ليسوا من مستخدمي الإنترنت وتقنية المعلومات، أو حتى من متابعي تطورات العلوم في مجالاتها الأخرى، وبالتالي إدراكهم لفظية محصورة ولا مجال لاستيعاب تلك المفاهيم التي تتخلق في كل يوم. وهل الجامع اللغوية العربية هي الأخرى أكثر تطوراً وقدرة على استيعاب إيقاع الزمن، وهل هي قادرة على اللحاق بالآلاف مؤلفة من المصطلحات العلمية والسياسية والاقتصادية التي تستجد كل يوم على الساحة العالمية والتي تؤدي إلى توالد مفاهيم جديدة دخلت خلايا حياتنا اليومية ورغم أنفنا؟^(٨)

ونحن نتحدث عن اللغة العربية كلغة منطوقة، فماذا بشأن فنون الخط العربي الذي آلت به الأمور ليتحول إلى فرجة في المتحف يعلوه غبار العدم! مشكلة التعريب التي لم ولن تحل، وإن كانت تجربة العراق وسوريا في مجال تدريس العلوم بالعربية ناجحة بدليل تميّز علماء العراق. ولكن، ما هو مصير الشباب الخريج من الجامعات المعرّبة للعمل في سوق العمل العربي؟ النتائج محزنة ومخزية للغاية، وكثيراً ما يتم رفض تعيينهم وتفضيل الآسيويين عليهم بسبب اللغة! أو لستم معي في أن الفرق بين التعريب والتعريب ليست نقطة فوق العين، إنما هي نقطة حارقة كاوية فوق العقل طالت مدتها في حياتنا العربية أكثر مما ينبغي! عندما نعرف أن مؤسسات التعليم العالي تفرض على أساتذتها وباحثيها نشر بحوثهم باللغة الإنجليزية، بغض النظر عن طبيعة تخصصاتهم العلمية، فكيف لهؤلاء الاهتمام باللغة؟ وكيف لهم أن يقدموا دراسات اجتماعية إنسانية حول إرهابات وإشكاليات اللغة! كم من المعاهد والمراكز الأكاديمية والجامعات الممتدة على مدى خريطتنا العربية فكرت، ولو مجرد تفكير، بدراسة علاقة اللغة بتكنولوجيا المعلومات مثلاً؟^(٩)

المحور الخامس: ماهي المساوى والمحاسن لوسائل التواصل الاجتماعي واثرها على استخدام اللغة.

وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة لها إيجابياتها وسلبياتها في عيون مستخدميها، يعيش الشباب اليوم في ظل عالم تقني ومجتمع افتراضي سيطر على اهتماماتهم وأخذ الكثير من أوقاتهم، ومن بين أبرز تلك الاهتمامات التواصل الاجتماعي التي توفرت لهم عن طريق شبكات اجتماعية على الانترنت من قبل " تويتر، ماسنجر، شات، يوتيوب، والفيسبوك والأخير تحديداً يعد الأشهر على مستوى العالم والأكثر تطوراً ووصولاً لأكبر الفئات والقطاعات في كافة أنحاء العالم"، و كان لهذا العالم أثره الكبير على الهوية الاجتماعية والوطنية وعلى الترابط الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، وهناك إجماع بين العديد من الباحثين على أن تكنولوجيا الاتصال فتحت عصراً جديداً من عصور الاتصال والتفاعل بين سكان الكرة الأرضية وفي وفرة المعلومات والمعارف

التي تقدمها لمستخدميها ولكن على الجانب الآخر هناك مخاوف من الآثار السلبية الجسدية والنفسية والاجتماعية والثقافية التي قد تحدثها.

وبما أن الشريحة الأكبر التي تستخدم هذه التقنية هي من فئة الشباب الذين هم مستقبل وعماد التطور والتقدم والإنتاج في العالم ، ارتأت المروج إجراء دراسة ظاهرة التواصل الاجتماعي الحديثة على الشبكة العنكبوتية ومعرفة آثارها المختلفة عند هذه الفئة المهمة من فئات المجتمع^(١٠).

فما هي إيجابيات وسائل الاتصال الحديثة وما هي سلبياتها؟، وكيف يتعامل الشباب العربي مع هذه المواقع الاجتماعية؟ وهل أضافت جديداً في حياتهم وغيرت إيجاباً في مستوى تفكيرهم وإدراكهم والأشياء من حولهم؟ أسئلة تحاول المروج الإجابة عنها من خلال دراسة ميدانية عربية أجرتها إحدى الباحثات العرب في هذا المجال مع مجموعة من الأشخاص من مختلف الفئات الاجتماعية؟ البداية كانت من المغرب مع طالب علوم الأحياء كريم الإدريسي كلية العلوم بالرباط الذي بدأ حديثه بالقول: " بالنسبة لي أقرب وسيلة حديثة للتواصل هي الفيس بوك الذي أجده برنامج اجتماعي من الطراز الأول، يتيح فرصاً نادرة للتعارف والتواصل بين الأهل والأصدقاء والمعارف دون التقيد بجغرافية الزمان أو المكان لكن للأسف هناك بعض من الشباب يستخدمونه في غير الغرض الذي صمم من أجله، وعن نفسي أقر أنني أقضي الكثير من الوقت للتصفح والدراسة دون اعتبار لأشياء وأولويات أخرى يمكن أن تكون مفيدة أكثر لحياتي الشخصية أو الدراسية^(١١).

من جهتها ترى سارة النعيمي طالبة بالمعهد العالي للصحافة -الرباط - : " أن شبكات ومواقع التواصل الاجتماعي نتاج طبيعي لتطور العلم وازدهاره عبر ثورة التكنولوجيا التي شملت كل أرجاء المعمورة وجعلت العالم عبارة عن قرية صغيرة. وأضافت: أكيد لكل شيء إيجابيات وسلبيات ، فمثلا الموقع الأكثر شهرة هنا بالمغرب هو الفيسبوك أرى أن من إيجابياته خلق ترابط بين الناس وتقوية الصلة الاجتماعية والتواصل بين الشخص البعيد عن أهله وأحابيه بسهولة ويسر وبأقل تكلفة مالية. هذا الى جانب الصفحات العلمية والإخبارية والطبية والثقافية والرياضية. التي تزود المتصفح بمعلومات قيمة ومفيدة كل حسب طلبه، أيضاً - - يتيح الفيسبوك - فرصة التعارف ومعرفة أشخاص وأناس جدد من مختلف الجنسيات والبلدان ويفتح لك أفقا جديدة ويعزز رصيدك من الصداقات الجديدة لكن بالمقابل ما لم تتحكم في وقتك فلن تستطيع أن تفارقه وتصبح مدمناً له وتقضي جل أوقاتك فيه وهذا جانب سلبي ، يقول الحاج محمد أبو عروة صاحب مقهى انترنت : " لا يختلف اثنان على أن مواقع التواصل الاجتماعي تمثل ضرورة للتواصل مع الآخرين، ومعرفة آرائهم في ما يستجد من أحداث على الساحتين العربية والدولية، لكن لا بد من التحذير من إمكانية التسلل إلى عقول مستخدمي هذه المواقع، خصوصاً صغار السن منهم والذين يلجؤون هذه المواقع

دون مراقبة الكبار، بحيث تسهل عملية إقناعهم بأفكار غير مقبولة دينياً واجتماعياً وسياسياً. ودعا الحاج محمد إلى وضع هذه المواقع تحت الرقابة، لحماية المجتمع من "الأفكار المتطرفة"، وعدم إتاحة المجال أمام الراغبين في إثارة الفوضى أو الإساءة للرموز الوطنية أو الدينية.

ويوافقه الكلام الأستاذ علي المرجاني صحفي حر ، موضحاً إلى أن "معظم مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، لديهم أوقات فراغ طويلة، يقضونها في التحدث مع المستخدمين الآخرين". وأضاف "قد يستغل بعض الأشخاص هذه الوسيلة للتحدث في أمور غير مقبولة، متسترين بأسماء مستعارة، خصوصاً إذا كان لديهم معتقد لا يستطيعون توصيله إلى الآخرين في الحياة الواقعية بطريقة مباشرة وواضحة وبالتالي يستغلون هذه المواقع معتمدين على صوت وصورة لتأثير على متصفح هذه المواقع خصوصاً القاصرين منهم^(١٣).

الفيسبوك... سلاح ذو حدين يعتبر عبدالله الإدريسي أستاذ ثانوي مادة التربية الإسلامية موقع الفيس بوك من أهم المواقع الاجتماعية للتواصل بين الأشخاص ، فهو انفتاح ثقافي معرفي واسع بين الدول ويساعد على سرعة التواصل والتعارف بين الأشخاص ومعرفة أهم أخبارهم وأهم الأحداث على المستوى الاجتماعي والرياضي والفني والديني وجميع المجالات ، اما عن سلبياته يرى أنها كثيرة و لعل أهمها وأخطارها اكتساب عادات وتقاليد غربية بعيدة كل البعد عن عادات وتقاليدنا العربية فكما هو مصدرا للثقافة والانفتاح المعرفي يقابل ذلك أنه مصدر لنشر الأفكار المسيئة والصور الفاضحة والفيديوهات المخلة للأدب فهو سلاح ذو حدين ، الفيسبوك صوت من لا صوت له في مستهل حديثها وصفت (نادية العلمي) ناشطة حقوقية - الفيسبوك بالبرنامج الاجتماعي الشهير وأضافت قائلة : " أن الفيسبوك صمم أصلاً لأجل خلق حالة مستديمة من التواصل الإنساني والاجتماعي وله فضل كبير في خلق وفتح حوار دائم مع سكان العالم ، و أنه أصبح صوت من لا صوت له ، و أضافت «فايسبوك» «و«تويتر» لعبا دورا أساسيا في تعبئة الشباب وفي نشر التوعية السياسية وفي توحيد توجهاتهم بالشكل الذي حولهم إلى جماعة ضاغطة حقيقية في الشارع ، تنادي من أجل التغيير وتمارس مواطنتها بالشكل الذي تراه ملائماً. لقد خلقت هذه الوسائط جيلا من الشباب «الفايسبوكيين»، الذين قد يبدوون عموماً ككائنات افتراضية، و لكن هم أشخاص موجودين بالفعل ، وخير مثال ماحدث بمصر وتونس وحتى في المغرب من سرعة في التغيير^(١٤).

وعن سلبيات هذه المواقع تقول : " لكي نميز بين هذه وتلك لابد من معرفة: من هم مستخدمو الفيسبوك مثلاً، وأي المواضيع يتناولها وتستهوي هؤلاء المستخدمين؟ فيما اختصر رأي الأستاذ محمود المراكشي أستاذ علم النفس في قوله: " هذه الوسائل الحديثه الافتراضية قوة حقيقية لا يمكن الاستهانة بها مستقبلاً، ساهمت في فتح سبل

النقاش السياسي والإجتماعي ساعدت على نجاح ثورات بعض البلدان وأزالت الحدود الجغرافية للتنقل الافتراضي، وحولت العالم الى قرية صغيرة".
أما السيدة نعيمة المعروف في ربة بيت فهي تعتبر الفيسبوك ضررتها على حد قولها....
وأنها بفضل هذه التقنية الحديثة في التواصل أصبحت تعيش في وحدة قاتلة طوال اليوم، فلا الأولاد ولا الزوج يهتمون لوجودها بمجرد دخولهم البيت حتى يسرعون لفتح مواقعهم على الفيسبوك ويعيشون عالمهم الخاص فيما تظل هي وحيدة لا يأنس وحدتها إلا المسلسلات التركية... وتضيف، حتى المعابدات في المناسبات الدينية أصبحت عن طريق هذه الوسائل . من جهتها ترى الدكتورة مهي المصري: أستاذة في قسم الفنون والأثار في الجامعة اللبنانية أن ظاهرة التواصل الإجتماعي عبر الأنترنت وما يسمى بالتطور الآلي ساهم في تقريب المسافات بين الأفراد في الاغتراب وتسهيل البحث العلمي وأنشاء علاقات جديدة تساعد على التطور في ميادين متخصصة، على ان يتم إظهار الجانب السلبي منها والمتعلق بالانفتاح على الجميع مما يسهل معرفة خصوصية الفرد، عدا على أنها ساهمت في التفكك الأسري الناتج عن ملازمتنا لتلك الوسائل ولا ننسى أنها تعرض الأفراد أيضا" على الانحراف عن تقاليد وأخلاق معينة. لا يخفى عن أحد الدور الذي لاعتبه وسائل التواصل الإجتماعي في بروز عملية الحراك والتغيير الإجتماعيين الأمر الذي انعكس سواء سلبا" أو إيجابا" على المجتمعات لأنها ساهمت في إحداث الثورات السياسية والإجتماعية التي شهدناها على مستوى بعض الدول العربية والتي جاءت كما نعرف نتيجة دعوة من بعض الشباب الى ذلك عبر الفيسبوك^(١٥).

الخاتمة:

من خلال هذا التحقق يمكن تصنيف آراء ومواقف الناس تجاه استعمال أدوات وتقنيات الاتصال الحديثة عبر الأنترنت من تويتز، ماسنجر، شات، يوتيوب، والفيسبوك إلى ثلاث مواقف متباينة بتباين المستويات والانتماءات الفكرية.
فهناك الاتجاه الايجابي والمؤيد الذي يرى أن وسائل الاتصال الحديثة قد قدمت لنا خدمات لم يسبق لها مثيل، فقد عملت على توفير الوقت والتكاليف مع تنوع وجودة الخدمات وذلك على مختلف المستويات وفي جميع القطاعات. فقصرت المسافات ورفعت الحواجز بين الأفراد والجماعات. وحولت العالم إلى قرية صغيرة يتواصل أهلها بكل مرونة وبلا حواجز وبسرعة فائقة... فبفضل التقدم الذي عرفه التواصل ... عم الحوار وزادت حرية التعبير، فانتشرت عمليات التحسيس والتوعية وتم الحد من بعض مظاهر التخلف كالأمية والجهل وساد التعاون والتكافل وتبادل الثقافات.
أما أصحاب الاتجاه السلبي، فيعتبرون وسائل الاتصال مصدرا لمجموعة من المشاكل مثل:

١- التفكك الأسري والعائلي، فحسب وجهة نظرهم، قد تباعدت العائلة وتشتت الأسرة

- داخل البيت الواحد. فلم يعد أفراد الأسرة الواحدة ينعمون بتلك الاجتماعات المطولة وما يتخللها من تبادل الآراء والتشاور والتخطيط والاحتفال والمرح
- ٢- انشغال الأطفال والشباب عن الدراسة ، مما أدى إلى تراجع مستوى التحصيل وتدني العلامات المدرسية وانتشار الغش.
- ٣- التخلي عن المطالعة وتجاهل قيمة الكتب والاكتفاء في الابحار عبر المواقع. الالكتروني للوصول للمعلومة، الإدمان على مشاهدة المواقع الإباحية مما أثر سلبا على مجموعة من القيم والأخلاق وتسبب في تزايد الصراعات بين الأزواج و انتشار أفكار جديدة عن طريقة وطبيعة الزواج والاسرة.
- ٤- والتأثر ببعض الأفكار المتطرفة المشجعة على الإرهاب والعنف
- ٥- هذا أضافه إلى كون الأجهزة تشكل خطورة كبيرة على صحة وسلامة مستعملها وتساهم في تلوين البيئة بشكل كبير لسرعة التجديد في الإنتاج وما يرافقه من التخلي عن الأجهزة السابقة التي تصبح عبارة عن نفايات مشعة وصلبة.

الهوامش والمصادر:

- ١- ابراهيم بن سليمان الشمسان: استعادة الهوية، الحلقة النقاشية: مركز الملك ٢- عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية: آفاق الريادة والتَّميُّز، ٢٠١٢، جامعة الملك خالد - السعودية - المركز الإعلامي. ص١٢٣.
- ٣- عبدالعزيز بن عثمان التويجري: مستقبل اللغة العربية، مطبعة الإيسيسكو، الرباط المملكة المغربية، ٢٠١٥، ص٢٣.
- ٤- عبدالكريم علي عوفي، اللغة العربية (الهجينة) في مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها على اللغة العربية الفصحى، أبحاث ودراسات مركز الملك عبدالله ٥- بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٤، ص ٧٦.
- ٦- فطيمة بوهاني والباحثان: حميدة خذري وحمزة هريدي: شبكات التواصل الاجتماعي وتأثير استخدامها على اللغة العربية عند الشباب الجزائري: دراسة ميدانية لكيفية مساهمة استخدام الفيسبوك في اندثار ونسيان اللغة العربية عند الجامعيين، قسم العلوم الإنسانية/ جامعة قلمة ٨٠ ماي ١٩٤٥، الجزائر.
- ٧- مجد مالك خضر، اللغة العربية والتكنولوجيا، مقالة على الإنترنت، نشر بتاريخ ٧/١١ /٢٠١٦، موقع إي - بزنييس.
- ٨- هاشم صالح مناع: استخدام طلبة الجامعة اللغة العربية بحروف لاتينية الإنجليزية وغيرها) في أساليب التواصل الحديثة، كلية التربية والعلوم الأساسية - جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ٢٠١٦، ص٨٩.

٩- د. عبدالعزيز عبدالمجيد: اللغة العربية؛ أصولها النفسية وطرق تدريسها (ص: ١٩).مقالة من الانترنت.

10- An introduction to language by Victoria Fromkin and Others: Ed.7 ,

Thomsom Heinle Pub., United States.

11- Communication models by Denis Mc.Quail and Sven

Windahl,Cambridge University Press.

12- Contemporary linguistics by William O' Grady ,Cambridge University

Press.

١٣- عبدالكريم علي عوفي ١٥،المصدر السابق،ص٧٨.

١٤- فطيمة بوهاني والباحثان: حميدة خذري وحمزة هريدي،المصدر السابق،ص٣٥.

١٥- عبدالكريم علي عوفي ١٥،المصدر السابق،ص٨٠.